رسالة سامية إلى المشاركين في المائدة المستديرة رفيعة المستوى حول "قدرة التربية على التحصين من العنصرية والميز: معاداة السامية نموذجاً"

"الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

السيد الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة،

السيدة المديرة العامة لليونسكو،

أصحاب الفخامة والمعالي رؤساء الدول والحكومات،

أصحاب السعادة، حضرات السيدات والسادة،

أود، بدايةً، أن أشيد بالإنجازات المتميزة التي حققتها منظمة اليونسكو، في إطار النهوض بالتربية على السلم، بقيادة مديرتها العامة، معالي السيدة أودري أزولاي.

وينعقد لقاء اليوم في سياق يتسم بانخراط عدة مناطق من المعمور في منطق الإقصاء، والانطواء، ورفض الآخر. وطالما راح المهاجرون ضحية لهذا التوجه، واستُغلت مآسي اللاجئين فيه أبشع استغلال، وتحولت جَرَّاءه الأقليات إلى فئات منبوذة.

وما فتئت خطابات الكراهية تتنامى وتزداد انتشاراً، مؤجِّجةً بذلك أحقاد العنصرية وكراهية الأجانب والخوف من الإسلام ومعاداة السامية وغيرها من أشكال الميز. وهي بذلك إنما تمهد الأرضية المواتية لانتشار التطرف العنيف وتفشي انعدام الأمن.

فالعنصرية، بشكل عام، ومعاداة السامية، بوجه خاص، من السلوكات التي لا يمكن بأي حال من الأحوال تصنيفها في خانة التعبير عن الرأي.

ذلك أن معاداة السامية هي نقيض حرية التعبير، ما دامت تنطوي على إنكار الآخر، وتشكل إقراراً بالإخفاق والقصور وعدم القدرة على التعايش. إنها النكوص إلى ماضٍ من المغالطات والأوهام ضداً على منطق التاريخ.

فهل هذا هو الماضي الذي نرغب في تسليمه إرثاً للأجيال القادمة؟

كلاَّ، فلا يمكن لهذه الآفات التي تنخر أركان العديد من المجتمعات أن تطفئ وهج المشعل الذي سيتسلمونه منا.

ومع ذلك، لا يمكن محاربة هذه المعضلات بالارتجال وأنصاف الحلول. فالمعركة التي تنتظرنا ليست عسكرية ولا مالية، بل هي تربوية وثقافية في الأساس، ولها عنوان : هو التربية.

فمن أجل مصلحة أبنائنا، لا خيار أمامنا إلا أن نكسبها، لأنهم هم من سيظفرون بغنائمها ويحملون رسالتها.

أصحاب الفخامة والمعالي والسعادة،

حضرات السيدات والسادة،

يشكل كسب رهان التربية الحالة الوحيدة التي يمكن الاعتداد بالنجاح فيها، كإنجاز فردي وجماعي في الآن نفسه.

فالتربية توفر تلك القدرة اللافتة، بل والضرورية، على تجاوز شعور التوجس من الآخر، وعلى رفض الخلط بين المفاهيم، ودحض الأحكام المسبقة.

وهي، فضلا عن ذلك، قاعدة للتلاحم والمساواة، وشرط أساسي للنمو والازدهار، باعتبارها علاجاً وسلاحاً ناجعين في مواجهة كل هذه الآفات.

وترسيخاً للتوجهات التي عرضناها في خطاب العرش في 29 يوليوز الماضي، فقد حرصنا على وضع قضايا الشباب في صلب النموذج التنموي الجديد، الذي يعتمده المغرب.

وبحكم انخراط المملكة الكامل في تنفيذ خطة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة، في أفق عام 2030، فقد اتخذت من ورش النهوض بالتعليم الجيد أساساً متيناً لتحقيق أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر.

فلا بد للتعليم الجيد الذي ننشده، أن يعلم أبناءنا التاريخ برواياته المتعددة، من خلال استعراض اللحظات المشرقة في ماضي البشرية، لكن دون إغفال صفحاته الأكثر قتامة.

ولا بد له كذلك أن ينمي لديهم روح الانفتاح على العالم، وعلى التنوع الإنساني والثقافي. وفضلا عن ذلك، فإننا نتطلع إلى مساهمة هذا التعليم في إعداد أجيال متشبعة بالفكر المتفتح وروح التسامح، وقادرة على تحقيق ذاتها في بلدان كالمغرب، حيث تندمج الثقافات والحضارات في الحوار بكل حرية، ويغني بعضها بعضاً.

أصحاب الفخامة والمعالي والسعادة،

حضرات السيدات والسادة،

لقد ظلت بلادنا، باعتبارها ملتقى للحضارات العربية الإسلامية والإفريقية واليهودية والمسيحية، وفيةً لتقليد راسخ، قوامه التسامح والتعايش والتفاهم المتبادل.

ولا أدل على ذلك، من أن تاريخ اليهود المغاربة، الذي صانه سلاطين المغرب وملوكه، وظل شاهداً على مصير مشترك وسيرورة تاريخية، كان وما زال يعتبر "اليهود مواطنين مغاربة يتمتعون بنفس الحقوق المتساوية والكاملة، على غرار إخوانهم المسلمين". فقد ظل التعايش بين اليهود والمسلمين سمة من سمات حياتهم اليومية، حيث درج كل منهما على النهل من معارف الآخر، والاقتباس من معين منظومته التعليمية.

ويظل واقع الحال شاهداً على التعايش الديني في المغرب، إذ تنتصب المساجد والبيع والكنائس جنباً إلى جنب في العديد من مدن المملكة.

تلكم هي الصورة التي نعمل على ترسيخها في عقول أبنائنا. وذلكم هو الإرث الذي نسعى لتسليمه أمانة لهم. وهي، إلى ذلك، رسالة السلام التي قصدنا تبليغها من خلال الارتقاء بالتربية إلى المكانة المرموقة التي تستحقها بإجماع الجميع.

أشكركم على حسن إصغائكم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".